لماذا نقحم أنفسنا في خصوصيات الآخرين؟

د. فاطمة إغبارية

سؤال بسيط في ظاهره، لكنه يكشف أزمة حقيقية في سلوكنا المعاصر، خاصة في زمن الإنترنت. فالإنترنت – أو كما يقال: النت... وما أدراك ما النت! – عالم واسع تختلط فيه المسافات، وتذوب فيه الحدود بين الناس، حتى يجد الإنسان نفسه فجأة داخل دوائر لم يختر الدخول إليها.

التحية بين الأدب والالتزام المفروض

رسائل الماسنجر، التحية والسلام، تعليق على منشور، أو إبداء رأي...

كل ذلك في حدوده الطبيعية أمر جميل، بل يعكس روح التواصل الإنساني.

لكن المشكلة تبدأ عندما تتحول هذه البساطة إلى توقعات غير معلنة، وإلى نوع من الإلزام الاجتماعي الغريب.

فقد يرسل لك شخص تحية، وربما لا تعرفه أصلًا، ولا تربطك به أي علاقة تُذكر. فترد عليه بدافع الأدب، واتباعًا لقوله تعالى:

(وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا).

لكن المفارقة تبدأ بعد ذلك.

فبعض الناس يظن أن ردك على التحية يعني أنك أصبحت ملزمًا بالتواصل معه، أو بالدخول في حوار طويل، أو بالرد في الوقت الذي يراه هو مناسبًا.

من التحية إلى الحوار الغريب

فما إن ترد السلام بدافع الأدب، حتى يبدأ فصل آخر من الحوار لم تكن تتوقعه أصلًا.

تأتيك الرسالة التالية مباشرة:

"وينك؟ من زمان ما طليت!"

وهنا يقف القارئ متعجبًا.

أي زمان هذا؟ وأي معرفة تجمعنا حتى يصبح غيابي موضع سؤال؟

الغريب أن بعض الناس يتحدث معك وكأن بينكما معرفة تمتد لسنوات، وكأنك كنت تجلس معه يوميًا أو تشاركه تفاصيل الحياة. بينما الحقيقة البسيطة أنك لا تعرف من يكون أصلًا، وربما لا تتذكر حتى متى بدأ هذا التواصل.

مجرد تحية عابرة تتحول فجأة إلى حديث طويل، وأسئلة شخصية، ونبرة ألفة لا مبرر لها.

في تلك اللحظة يتسلل إلى الذهن سؤال ساخر لكنه صادق:

هل تعشّينا مع هذا الشخص يومًا حتى يسألني أين اختفيت؟

الافتراض المسبق يخلق الإشكالية

المشكلة ليست في السؤال بحد ذاته، بل في الافتراض المسبق بوجود علاقة. فالتحية لا تعني الصداقة، والرد على السلام لا يعني فتح أبواب الحياة الخاصة.

لقد خلق الإنترنت نوعًا من العلاقات السريعة والهشة، علاقات تولد من كلمة، لكنها تكبر في مخيلة بعض الناس أكثر مما تحتمل.

فإن أجبت بلطف استمر الحوار بلا نهاية،

وإن تأخرت قليلًا في الرد بدأ العتب،

وإن انشغلت فُسّر الأمر تجاهلًا،

وإن وضعت حدودًا اعتبرها البعض برودًا أو تكبرًا.

الأدب لا يلغي الخصوصية

إن التحية في ثقافتنا العربية والإسلامية قيمة سامية، وهي من أجمل مظاهر الاحترام المتبادل.

لكنها لم تكن يومًا عقدًا اجتماعيًا يلزم الناس بفتح حياتهم ووقتهم لكل من يطرق الباب الافتراضي.

فالإنترنت، رغم اتساعه، لا يلغي حقيقة أساسية:

للإنسان خصوصية، ووقت، ومساحة شخصية.

وليس من العدل أن يتحول الأدب إلى عبء، ولا أن تتحول المجاملة إلى التزام.

الأخلاق الحقيقية لا تعني فقط أن نحسن إلى الآخرين، بل تعني أيضًا أن نحترم حدودهم وظروفهم.

أن نحيّي بلطف... نعم.

لكن دون أن نفترض أن الآخر متفرغ دائمًا.

ودون أن نحمله مسؤولية الرد الفوري.

فالإنسان ليس برنامجًا يعمل على مدار الساعة، وليس نافذة مفتوحة بلا باب.

إنه كائن له حياة خارج الشاشة، ووقت، وانشغالات، ومساحات من الصمت لا تحتاج إلى تبرير.

خاتمة

في عالم الإنترنت اليوم، مجرد ردّك على تحية قد يُفسَّر كدعوة مفتوحة لاختراق حياتك. الأغلبية تعيش هذه الفوضى اليومية، حيث يُتوقع منك الرد فورًا، والاعتذار عن الانشغال يُعد تجاهلًا، وحتى الصمت يُفسَّر برودًا أو تكبرًا. الهدف من هذا المقال أن نذكّر: التحية أدب، الخصوصية حق، والتواصل الرقمي ليس ساحة لإملاء الالتزامات على الآخرين. وإذا أردنا البقاء بأمان، علينا أن نضحك قليلًا، لكن أن نضع حدودنا دائمًا.

الدكتورة فاطمة ابو واصل إغبارية..

دكتوراه في اللغة العربية

الدنمارك....